نظريات حَول الـحـ

النموذج اللاحضري – الحضري

تركزت الدراسات الاجتماعية ، والأنثروبولوجية ، والتاريخية ، والجغرافية حول موضوع الاختلاف ما بين الريف والحضر ولكن الطرق والوسائل والنتائج تختلف كثيراً من فرع من العلوم إلى آخر ومن وقت إلى آخر . العلماء الاجتماعيون والسياسيون والاقتصاديون أجمعوا على أن هناك اختلافا بين الريف والحضر من المفكرين الاجتماعيين الأوائل أمثال ابن خلدون وبيترو إلى الكتاب في عصرنا الحالي أمثال Sorokin و Zimmerman أكد هؤلاء هذه الاختلافات(١) . ولكن من الداعي إلى الغرابة هو أن القطبين الحضري والريفي عوبلجا في حالتين متطرفتين . المقالة المعروفة عن التحضر في المجتمع الغربي كتبت بواسطة Wirth (١٩٣٨) ، ومن ناحية أخرى ومن وجهة نظر أنثروبولوجية عالج Redfield (١٩٤١) القطب الآخر (الريفي) في مجتمع غير غربي(٢) .

كانت مقالة Wirth تعالج بصفة خاصة مسألة التحضر في

ر والتحضر

د . عبدالعزيز عبداللطيف آل الشيخ
قسم الجغرافيا بجامعة الرياض

المدن الغربية على أساس متغيرات ثلاثة ، العدد ، الكثافة ، ودرجة التمايز . . . »(٣) انتقدت هذه المقاييس بالنسبة لمدن غير غربية . ذكرت ابو لغد في دراستها لمدينة القاهرة (١٩٦١) أن هذه المتغيرات لايمكن أن تطبق على مدينة مثل مدينة القاهرة(٤) .

صحيح أن هناك فرقا بين المدينة والقرية في البلدان النامية إلا أننا نجد في المدن نفسها مظاهر غير حضرية جنباً إلى جنب مع المظاهر الحضرية(٥) .

ومن ناحية أخرى سبب عمل Redfield (المركز على الريف) جدلاً طويلاً . هذا النموذج Model عن حضارة العشائر Folkculture يعتبر المقابل لنموذج الحضرية . انتقد Lewis (١٩٥١) نموذج Redfield من نقطتين أساسيتين . الأولى أن هذا النموذج يركز بالدرجة الأساسية على المدينة كمصدر للتغير الحضاري :

The Folk-Urban conceptualization of social change focuses attention primarily on the city as the source of change, to the exclusion or neglect of other factors of an internal or external nature. (٦)

أما نقطة الانتقاد الثانية فهي أن Redfield (في دراسته الحقلية في المكسيك عن المجتمع الريفي) استعمل أحكاما شخصية أدت به إلى أن ينظر إلىالناحية الأخلاقية للمجتمع الريفي الذي درسه من زاوية خاطئة (٧) .

وانتقد McGee (١٩٦٤) النموذج اللاحضري – الحضري بشكل عام من ثلاث نواح هامة :

١ – انتقد النموذج على أساس الازدواجية ذاتها فالمظاهر اللاحضرية قد توجد في منطقة حضرية بسبب عامل الهجرة .

٢ – فشل النموذج في أن يطابق الواقع .

٣ – من الممكن أن توجه الانتقادات إلى كلا جانبي النموذج الريفي والحضري (٨) .

وفيما يخص مدن الشرق الأوسط مثل ذلك النموذج الذي يقول بنوع واحد من الأنماط لا يمكن قبوله ، وهذا يرجع إلى أن أمثال تلك المدن تحتوي على الأنماط الريفية والحضرية معا . تذكر أبولغد (بناء على إحصائية ١٩٤٧) بأن أكثر من ثلث سكان مدينةالقاهرة مولودونخارجها (٩) . وحتى عشر سنوات بعد ذلك بين إحصاء عام ١٩٥٧ أن ٣٧ في المائة من سكان مدينة القاهرة مولودون خارجها (١٠) .

وحسب إحصاء تم في بغداد ما بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ وجد أن ٥٧ في المائة من المجيبين يذكرون أنهم ولدوا خارج مدينة بغداد . (١١) الشخصية الريفية لبعض أجزاء مدن الشرق الأوسط ظاهرة شائعة . وتقع هذه الأجزاء حول أطراف المدينة . تتصف أطراف المنطقة الحضرية لمدينة القاهرة بطريقة عيش ريفية (١٢) . وفي النواحي الشرقية والغربية من مدينة دمشق هناك نسبة عالية من السكان الذين يشتغلون في مهن غير

حضرية ، وهذه الظاهرة تعكس الشخصية الريفية لهذه المناطق(١٣) . تأتي الأنماط الريفية في المناطق الحضرية نتيجة لمد الحدود الإدارية لتشمل القرى المجاورة . ولكن المناطق الحضرية نفسها تحتوي على مهاجرين والذين يمكن اعتبارهم ريفيين من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية(١٤) .

فشل النموذج اللاحضري – الحضري في تفسير كثير من النواحي في مدن العالم النامي في جنوب وجنوب شرق آسيا وفي أفريقيا ، وكذلك في الشرق الأوسط . هذا الفشل أدى إلى محاولات لتكوين نماذج لا على أساس حضارة واحدة وإنما ضمن حضارات مختلفة On cross-cultural basis وعمل Sjoberg (١٩٦٠) يعتبر أحسن مثال على هذا النوع من المحاولات (شكل ١) .

نظرية المدينة ما قبل الصناعة

عمل Sjoberg هو عبارة عن محاولة لبناء نموذج لتفسير الظاهرة الحضرية بغض النظر عن أية حضارة معينة(١٥) . تقترح نظرية المدينة ماقبل الصناعة .Preindustrial City الفكرة القائلة بأن جميع المدن ما قبل الثورة الصناعية في القرنين الماضيين تشترك في خاصيات معينة . وفي الصفحات الأولى من كتابه يقول Sjoberg .

> “in their structure, or form, preindustrial cities — whether in medievel Europe, traditional China, India, or elsewhere — resemble one another closely and in turn differ markedly, from modern industrial-urban centers.(١٦)

من العبارات السابقة عرف Sjoberg نوعين من الحضرية : « ماقبل الصناعة » و « الصناعية » واستعمل الأخير كمقياس يقارن به النوع الأول .

وعلى أساس تصنيف وظيفي يرى أن كافة المجتمعات من الممكن تصنيفها في إحدى الطبقات الثلاثة : اللاحضري وماقبل الصناعة ، ثم الصناعي . توجد المدن (حسب نظريته) فقط في المجتمعين الأخيرين . استعمل Sjoberg التكنولوجيا ليكون المتغير الرئيسي المستقل وهو يعرف هذا المتغير ليشمل ؛ : موارد الطاقة ، الأدوات والمعرفه المرتبطة باستعمال الأدوات ومصادر الطاقة لأغراض الإنتاج والخدمات ، والفرق بين التكنولوجيا الصناعية وما قبل الصناعة يتركز في نوع الطاقة المستعملة : المجتمعات الصناعية تستعمل الطاقة ذات المصدر اللاحي Inanimate energy ، بينما تعتمد مجتمعات ما قبل الصناعة على الطاقة التي مصدرها حيواني أو بشري animate energy كما أن شوبرج استخدم الكتابة كمتغير ليفرق به بين المجتمعات ما قبل الصناعة ومجتمعات العشائر : مجتمعات ما قبل الصناعة كانت تعرف الكتابة . بينما تلك التي انعدمت فيها الكتابة اعتبرها مجتمعات عشائرية بغض النظر عن نوع المركز العمراني أو المستوى التكنولوجي الذي وصلوا إليه .

أما صفات المدينة ما قبل الصناعة فهي :

١ ـ من ناحية الحجم هي مدينة صغيرة وتمثل تنوعات سلالية ethnic diversity أكثر من المناطق الريفية المحيطة بها ونسبة الوفيات فيها أعلى من المناطق الريفية .

٢ ـ الموقع تحدده الناحية الطبيعية للمنطقة والتكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي .

٣ ـ وظيفة المدينة ما قبل الصناعة مرتبطة بموقعها وهي بالدرجة الأولى سياسية واقتصادية واجتماعية ولا توجد مدينة تقوم بوظيفة واحدة وبارزة .

٤ ـ نمط المدينة ما قبل الصناعة (أو التركيب الداخلي لها) يشمل : وجود الأسوار التي تحيط بالمدينة لغرض الحماية ، وداخل هذه الأسوار يعيش السكان بالقرب من بعضهم البعض ولكنهم متميزون مكانيا فالأكثر دخلا يسكنون بالقرب من مركز المدينة أما الأقل دخلا أو الفقراء فيسكنون في المناطق البعيدة عن المركز .

تلك بعض الأنماط المكانية (أو الأيكيولوجية) لمدينة ما قبل الصناعة كما وصفت بواسطة شوبرج والتي من الممكن مقارنتها بصفات المدينة الصناعية حسب نموذج ويرث .انتقد نموذج المدينة ما قبل الصناعة من نقطتين رئيسيتين : تجاهله للاختلافات الحضارية بالنسبة للزمان والمكان ، كما أن معظم الأمثلة التي تطرق لها جاءت من المدن الإسلامية مثل مكة ، القاهرة ، فاس . بخارى ولاهاس (في الصين) . من ضمن منتقدي شوبرج الرئيسيين Wheatley الذي يقول :

> " Because of his (Sjoberg's) abstractions are derived from evidence selected either arbitrarily or fortuitously according to itsavailability, they are under suspicion of being little more than generalizations..." (١٧)

كذلك فشل شوبرج في إعطاء أمثلة عن المدن التي كانت تقوم بدور الربط بين الحضارات المختلفة . أمثال تلك المدن ازدهرت ضمن مجتمعات ما قبل الصناعة (١٨) . كما أنه لم يعالج بشيء من الجدية مدن أفريقيا جنوب الصحراء ، ومدن جنوب شرق آسيا ، وأمريكا اللاتينية أو مدن الحضارات القديمة مثل المدن الرومانية (١٩) . والذين لا يتفقون معه يرون إيجاد نموذج آخر والذي قد يناسب معظم مدن العالم الثالث وذلك هو نموذج المدينة المستعمرة Colonial City .

ومن الجدير بالملاحظة أن شوبرج حاول في بحث آخر أن يغير من بعض أفكاره وذلك بتقديم نوع جديد من المظهر الحضري وهو المدينة المتصنعة Industrializing City » وتلك هي مرحلة انتقالية من ماقبل الصناعية إلى الصناعية « From preindustrial to industrial (٢٠)

نموذج المدينة المستعمرة

كثير من المدن الآسيوية والأفريقية ومدن أمريكا اللاتينية وجدت نتيجة للتجربة الاستعمارية التي مرت بها كثير من دول العالم الثالث . من أحسن الأمثلة على هذه المدن التي وجدت بواسطة قوى خارجية وليست نتيجة لتطور اقتصادي داخلي ما يذكره Ginsburg عن المدينة العظمى The Great City (٢١) .

وفكرة نموذج المدينة الاستعمارية The Colonial City » هو أن المدينة التي وجدت في القرن العشرين سواء في جنوب شرق آسيا أو في أفريقيا وقبل الاستقلال تشتمل على عدد من الصفات المتشابهة والتي تبرر إطلاق مصطلح المدينة الاستعمارية عليها(٢٢) . ولكن استخدام هذا النموذج الأخير وتطبيقه على مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يكون مشكلة . وهنا من الممكن القول بأن خليطا من نموذجي المدينة ما قبل الصناعة والمدينة المستعمرة من الجائز أن يناسب أحوال تلك المدن(٢٣) .

وينتج من ذلك أن هناك ثلاثة نماذج للقطب الحضري : ما قبل الصناعة والصناعية والاستعمارية شكل (٢) إلا أن هذه النماذج كغيرها لا يمكن القول بأنها استطاعت أن تشرح الأنماط الحضرية للمدن غير الغربية وذلك يرجع إلى أن تلك النماذج اقتصرت على وصف تكوين تلك المدن وتجاهلت المتغيرات السلوكية داخل تلك المدن(٢٤) .

شكل (١)

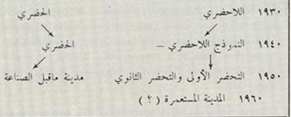
١٩٣٠ اللاحضري
١٩٤٠ النموذج اللاحضري –
١٩٥٠ التحضر الأولى والتحضر الثانوي
١٩٦٠ المدينة المستعمرة (؟)
الحضري
الحضري
مدينة ماقبل الصناعة

المصدر : R. J. Horvath, (1969), 1.

شكل (٢)

المتغير المستقل	نوع المجتمع	المدينة كنظام
التكنولوجيا	العشائري	لايوجد
التكنولوجيا	ما قبل الصناعة	مدينة ما قبل الصناعة
التكنولوجيا	الصناعي	المدينة الصناعية
السيطرة	الاستعماري	المدينة المستعمرة

المصدر : R. J. Horvath, (1969), 9.

الهوامش

1. See : M. Alam, "Ibn Khaldun's Concept of the Origin, Growth, and Decay of Cities," *Islamic Culture*, 34, (1960), 90-106; G. Botero, "The Greatness of Cities," in *The Reason of the State and the Greatness of Cities*, Trans. by R. Peterson, 1956. See also : P. Sorokin and C. Zimmerman, *Principles of Rural-Urban Sociology*, New York, 1929.

2. L. Wirth, "Urbanism As A Way of Life," *The American Journal of Sociology*, 44, (July, 1938), 1-24. R. Redfield, *The Folk Culture of Yucatan*, Chicago : The University of Chicago Press, 1941.

3. L. Wirth, (1938), 18.

4. J. Abu-Lughod, " Migrant Adjustment to City Life : The Egyptian Case," *The American Journal of Sociology*, 67, (July, 1961), 22-32.

5. J. Abu-Lughod, "Varieties of Urban Experience : Contrast, Coexistence and Coalescence in Cairo," in *Middle Eastern Cities*, Ed. by I. M. Lapidus, (Berkeley, University of California Press, 1969), 159-187.

6. O. Lewis, *Life in A Mexico Village : Tepoztila Re-Studied, Urbana* : University of Illinois Press, 1951, 432.

7. *Ibid.*, 435.

8. T. G. McGee, "The Rural-Urban Continnum Debate, the Preindustrial City and Rural-Urban Migration," *Pacific Viewpoints*, 5, (1964), 159-179.

9. J. Abu-Lughod, (1961), 23.

(١٠) الجمهورية العربية المتحدة ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، التعداد العام لسكان القاهرة : مطابع الأميرية ، ١٩٦٢م ، (مجلد ١ جزء ٢٣) ، ص ٢٥٧ .

11. D. G. Philips, "Rural-To-Urban Migration in Iraq," *Economic Development and Cultural Change*, 7, (July, 1959), 413.

12. J. Abu-Loghod, (1969), 159.

(١٣) س. عبر ، مدينة دمشق : دراسة في جغرافية المدن ، دمشق ، ١٩٦٩م ، ص٢٦٩ .

14. I. H. Abdel-Rahman, "Relations Between Urban and National Planning," in *The New Metropolis in the Arab World*, Ed. by M. Berger, (New Delhi : Allied Publishers, 1963), 206.

15. G. Sjoberg, *The Preindustrial City, Past and Present*, Glencoe, Ill. : The Free Press, 1960.

16. *Ibid.*, 4, 5.

17. P. Wheatley, "What the Greatness of the City Was Said To Be," *Pacific Viewpoints*, 4, (1963), 163-188.

18. T. G. McGee, (1964), 171.

19. R. J. Horvath, *In Search of A Theory of Urbanization : Notes on the Colonial City*, (East Lansing, Michigan : Department of Geography and African Studies Center, Michigan State University, 1969,) 3.

20. G. Sjoberg, "Cities in Developing and in Industrial Societies : A Cross -Cultural Analysis," in *The Study of Urbanization.*, Eds. by P. M. Hauser and L. F. Schnore, (New York : John Wiley and Sons, Inc., 1965), 220-228.

21. N. S. Ginsburg, "The Great City in Southeast Asia," *The American Journal of Sociology*, 60, (March, 1955), 455-464.

22. R. J. Horvath, (1969), 14.

23. J. Abu-Lughod, "Tale of Two Cities : The Origins of Modern Cairo," *Comparativety Studies in Societyand History*,7, (July, 1965), 427-457.

24. A. A. Al Sheikh, *Residential Mobility in Riyadh : A Study in Intra-urban Migration*, Doctoral Dissertation, (University of Wisconsin, Madison, 1977), 14.

* * *